الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدكتور طه حسين أيضاً :

يوم أشرت إلى ما نمت عليه مقالات الدكتور طه حسين بك، من شعور بعدم الارتياح إلى حاله في مصر وتعزيه عن هذا بمكانه في فرنسا — لم ألتفت إلى ناحية ينبعث منها هذا الشعور، إذ قصرت الأمر على ما عساه أن يكون بينه وبين الدولة من أشياء لا ترضيه ؛ وهذه الناحية وقفت عليها من كتاب « رحلة الربيع » الذي أخرجته له أخيراً « سلسلة اقرأ » والذي تحدث فيه بخواطر خطرت له في أثناء سفره إلى فرنسا وإقامته فيها وعودته منها إلى مصر في الربيع الماضي .

يقول في موضع من أوائل الكتاب « وكنت قد تركت في مصر شراً ونكراً وإثماً ، وخرجت وفي نفسي شيء من شرها ونكرها وإثمها » ويقول في موضع آخر: « إني لظالم للحق ولنفسي حين أحفل بهذه الضفادع اليائسة التي تملأ جو مصر نقيقاً . وما الذي يمنعني حين تثقل على عشرة الضفادع أن أنسل من بينها كما تنسل الشعرة من العجين لأخلو إلى رائع القديم وأحلو إلى رائع الحديث ، وأتعزى بجمال الأدب والفن والموسيقى عن قبح السياسة والمنافع وغدر الغادرين ومكر الماكرين وخيانة الخائنين ! » ويقول بعد أن يعبر عن اغتباطه بزيارة الأطلال اليونانية في « الأكروبوليس » في أثناء رسو السفينة في أحد ثغور اليونان ، وبعد أن يعبر عن نشوته بسماع موسيقى بيتهوفن عند عودته إلى السفينة في المساء ، يقول مخاطباً نفسه : « وقد أنكرتك مصر أو أنكرت مصر ، فخرجت منها ذات يوم مع الصبح ، ولم تكد تنأى عنها حتى غمرك جمال القديم اليوناني في الضحى ، وجمال موسيقى بيتهوفن في المساء ، فنسيت مصر وأهلها ، ونسيت مكر الماكرين ، ولهوت عن غدر الصديق وعن جحود الجاحدين »

إذن فالذي استشعره الدكتور طه من الشر والنكر والإثم في مصر ، مبعثه غدر الأصدقاء ونفاق المنافقين ؛ وليس هذا غريباً ، بل هو أمر طبيعي لم يكن من الممكن — في طبيعة الأحوال عندنا — غيره ... فقد كان الرجل في منصب كبير من مناصب الدولة ، وكان له سلطان ، وفيه أريحية ، فنثر حوله حباً تساقط عليه طير كثير ، ولصق به كثيرون من محترفي الصداقة . فتقدم ورفع وأعطى ومنح . وهؤلاء « الأصدقاء » الأصفياء يعرفون كيف يلبسون لكل حال لبوسها ، كما يصفهم الدكتور ، وقد بلغ الغاية في هذا الوصف ، ومن ذلك مخاطبته لأي منهم : « وأي شيء أيسر من أن تصفو لي اليوم وتكدر لي غداً ، ثم تعود إلى مثل ما كنت فيه من الصفو ، ثم ترتد إلى مثل ما كنت فيه من الكدر ، وتجعل نفسك على هذا النحو كرة تقذفها من الصلة إلى القطيعة ومن القطيعة إلى الصلة »

وقد تغير هؤلاء المراءون على الدكتور ، لأنه أصبح لا يملك ما كان يملك لهم من المنافع ، فتحولوا عنه إلى غيره يلتمسون نهاعنده.

ولا شك أن من فوائد هذه المحنة النفسية « الطبيعية » هذا التحليل الرائع لتلون المتلونين ورياء المنافقين ، وتهوين أمرهم ، والسخرية منهم وما إلى ذلك مما تضمنته فصول الكتاب ؛ ومن المحقق أن هذه المحنة صبغت — وستصبغ — أدب طه حسين بلون جديد .

ويتعزى الدكتور طه عما ترك في مصر من الشر والنكر والإثم بما يلقى في فرنسا من كثير يعبر عنه تعبيراً يشيع فيه

وكتبت إلى بلغز في إسمي ونسبي في ٢٥ بيتاً أوله :

ألا يا إمام الناس يا أوحد الورى ... ويا من حوى كل العلوم ولم يزل

ثم بلغز آخر في اسم « محمد » أوله :

يا مفرداً علومه بجمله ... وعالماً مولاه قد جمله

وقال بديهاً في الزين سالم :

أيا سيداً عم الخلائق بره ... وإحسانه فرض تضاعف لازم

أعن سائلا يأتيك والدمع سائل ... ولا تخشى من سوء فإنك «سالم»

ذلك ، وفي « نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي » : عائشة الاسكندرانية المعروفة بزهرة الأدب ، دار محلها يعرف بالروض ، ولها شعر ...

أسامر

الارتياح والاغتباط . وقد عاد إلى فرنسا بعد هذه الرحلة ، رحلة الربيع ، ولا يزال بها إلى الآن ، يعالج جرح نفسه بما يحب هناك ، وما ينسيه ما لقى فى مصر ... ومن حق الدكتور طه حسين على فرنسا أن تيسر له كل ذلك ، فقد أحبها وتغنى بها ، وها هى ذى تستأثر بقلبه ، دون مصر وما فيها من شؤن وشجون ... ومن حق مصر على فرنسا أيضاً أن تشفى لها نفس الدكتور طه وتأسو جراحه ، فقد أنبتته مصر وأنجبته ولم تبخل به على فرنسا .. وهى — أى مصر المسكينة — حائرة بين إسراف « الفتى » فى التدلل وبين غدر الغادرين به ، وترجو أن يعود إليها سالما معافى موفوراً .

أدب الهروب :

قرأت فى العدد الأخير من مجلة « الأديب » اللبنانية ، كلمة للأستاذ حسن حمام من اللاذقية ، حمل فيها على الأدباء « الذين غرقوا بين أمواج الحب المصطنع وبين زبد أمواج الرمزية الناضحة وبعدوا عن ساحل الحياة المضطرب الجياش الثائر » وناشد أدباء العرب أن يرفعوا من القومية العربية ويعلوا شأنها ، ودعا إلى أن يشعر الأديب بما يضطرب فى بيئته ويستوحى أدبه من الحياة وقلبها النابض .

وقد استرعى انتباهى قوله : « إن أدبنا الحاضر أيها الأدباء يحبه وغزله ، بشكواه وأنينه ، ببكاه ونواحه ، بضعفه وتخاذله ، لا يمثل بيئتنا ولا يصور حياتنا الاجتماعية والسياسية والقومية . وسيقف أحفادنا فى المستقبل من هذا الأدب مقلبين أكفهم متسائلين عن معنى هذا الأدب يحاولون أن يستنبطوا حياتنا الاجتماعية منه فلا يفهمونها » استرعت هذه الفقرات انتباهى ، فجعلت أتصور أدبنا الحاضر وأجول بفكرى فى نواحيه المختلفة ، وأسأل نفسى لأحقق قول الكاتب الفاضل : هل يصور هذا الأدب حياتنا بحيث يستدل به عليها الآتون من بعدنا أو بحيث يصدق عليه ما هو مقرر معروف من أن الأدب مرآة المجتمع وصورة الحياة ؟

إن أكثر الكتاب والشعراء مشغولون بالدراسات والبحوث والتعبير عن المشاعر المترفة ، أو بالسياسة الحزبية ، أو بالتوافه السلية ؛ فأين الحياة التى يحياها الناس من كل هذا ؟

والدراسات الأدبية مطلوبة ولابد منها للبناء عليها ، ولكن لا يجوز أن يعكف عليها كلنا ، أو أن نستهلك فيها كل جهدنا ، ولا نضيف إلى أدب الذين ندرس أدبهم أدبا يدل على أننا كنا هنا ...

لقد قال الكاتب فى مستهل كلمته إنه تناول عدداً من مجلة الأديب فلم يجد به تعبيراً عن مثل ما يجيش بنفسه من الشاعر القومية العربية . والعدد الذى نشرت به الكلمة زاخر بالفصول الأدبية الدراسية والأبحاث الفلسفية العالية ، ولكنه يكاد يخلو مما يدعو إليه . وليست الزميلة كذلك وحدها فهذا طابع عام الانتاج الأدبى فى جميع البلاد العربية فى هذا الوقت الذى يتوثب فيه الوعى العربى الجديد وينظر شزرا إلى الأدب الذى انبت عنه .

وقد سمى السيد حمام هذا الإنتاج الذى يهرب أصحابه من الحياة « أدب الهروب » وقد أعجبتنى هذه التسمية فأثبتها على رأس هذه الكلمة .

أهذا هزاء النيل ؟ :

أرادت إدارة الإذاعة أن تشارك فى الاحتفاء بوفاء النيل ، فأذاعت شيئاً مما تسميه « برامج خاصة » اسمه « النيل » من تأليف حضرة مراقبها العام ، جمع فيه كل محفوظات الإذاعة مما يتعلق بالنيل من مثل « النيل نجانى حليوة أسمر » و « يا بحر النيل يا غالى » ...

وقد بدأ البرنامج بمناجاة شعرية من الشاعر القديم « حابى » يلقيها بين يدى النيل ويتحدث فيها عن الآلهة القديمة ، وقد أقلق مؤلف البرنامج روح « حابى » وأرواح تلك الآلهة إذ أثارها من مستقرها فى كتاب الأستاذ حسن سليم بك ، حيث يليق بها أن تكون ، لأنه كتاب علمى ؛ وأكرهها على الظهور أمام جمهور مستمعى الإذاعة الذين لا يألفونها ...

ويدور الحوار فى البرنامج بين النيل ومصر على نسق كتب المطالعة للمدارس الابتدائية ، كالمناظرة بين الدراجة والحمار ... وكان الممثلون يلقون كما يطالع التلاميذ ، والتى مثلت مصر مثلت بها !

واستغرقت إذاعة ذلك البرنامج نحو ساعة قضيتها متجشما الإصغاء لأرى نهاية ما يصنع بالنيل ... فقد كان كلاما يتلو بعضه بعضاً على كره ، لا أثر فيه لأى عمل فنى . وظاهر أن المقصود منه أن يكون حبلا يجر مالدى الإذاعة من « الاسطوانات »

القديمة التي ورد فيها ذكر النيل ، وقد كان يمكن إذاعتها من غير هذا التكلف .

والنيل واهب مصر ، وكل من فيها وما فيها يعيش في كنفه وعلى ما يجود به في غدواته وروحاته : فهل يصح أن يكون هذا جزاؤه من مراقب الإذاعة العام ؟ وماذا ترك للمراقب الخاص ومن دونه ... !

لا تكتبوا عنه أشياء :

شغل البريد الأدبي في الرسالة — منذ أكثر من شهر — ببحث تحوي أثاره الأستاذ محمود البشبيشي في كلمة « أشياء » ولا تزال المناقشة متصلة بين الأستاذ ومناظريه ، وهي مناقشة لا طائل تحتها ، سواء أكانت أشياء على وزن أفعال أم على وزن فعلاء ، وسواء أكانت جمع شيء أم جمع « لا شيء » وسواء أكانت ممنوعة من الصرف أم ليست ممنوعة منه ومستعملة كالممنوع

كل ذلك لا أثر ولا نتيجة عملية له ، لأن الكلمة « أشياء » تنطق وتكتب وتقرأ وتفهم ، فلا تختلف في شيء من ذلك على أي وجه من تلك الوجوه . وأنا لا أنكر الفوائد النحوية واللغوية التي يتعقب بها كاتبوها زلات الأقلام ، فهذه رقابة لغوية مفيدة ، على أن يكون « الرقيب » جيد التحصيل حسن التصرف غير متشدد ولا متعسف . أما الجدل في التعليلات النحوية وما يماثلها فلا غناء فيه . ثم أريد أن أسأل الأستاذ أحمد أحمد المجمعي : أيهما أولى بالتأمل والتثبت ، إحصاء المقاطع « إن إن » أو ملاحظة الفرق بين الماضي والمضارع ؟ وأرجو أن يكون قولك : « ولا يقال أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا في الدعاء كقول ذي الرمة : ولا زال منهلا بجرعائك القطر » أرجو أن يكون هذا الكلام الذي يريد أن يمنع دخول لا النافية على « أزال » المضارع من هفوات العلماء ...

وبعد فلم لا يترك أستاذنا البشبيشي هذه « الأشياء » ويعود إلى الروض[1] ؟

مسابقة القصة في الإذاعة :

كانت إدارة الإذاعة قد أعلنت عن مباراة في القصص ، وألفت لجنة للتحكيم فيما يقدم إليها برياسة الأستاذ عباس محمود العقاد وعضوية الأستاذين محمد فريد أبو حديد بك ومحمود كامل المحامي . وقد انتهت اللجنة من عملها وأعلنت نتيجة المباراة كما يلي :

لم يفز أحد من المشتركين في المباراة بجائزة من المرتبة الأولى وفاز بالجائزة الثانية — وقدرها ثلاثون جنيها لكل فائز — ثمانية متبارين . وفاز بالجائزة الثالثة — وقدرها عشرون جنيها لكل فائز — اثنا عشر . وقبل عدد من القصص لتذاع بالمكافأة المعتادة ، وعينت قصص أخرى يختار منها للإذاعة .

وقد بدت في هذه المسابقة ظاهرة تكررت في غيرها من المسابقات الأدبية المختلفة التي أجريت في السنوات الأخيرة ، وهي إحجام المتدين بأنفسهم من ذوي الانتاج الجيد عن دخول هذه المسابقات ، وقد نشأ عن هذه الظاهرة خلو المرتبة الأولى في مباراة الإذاعة . ويحدث أن تسأل شاباً من المعروفين بالنشاط الأدبي : لم لم تدخل مسابقة كذا ؟ فيجيب : قد تقدم إليها فلان وصلته بفلان (أحد المحكمين) وثيقة ... وأنا لا صلة لي بأحد منهم . ومما يذكر — اعتباطاً — أن بين الفائزين في مسابقة الإذاعة موظفين فيها .

من طرف المجالس :

قال المتحدث : أرأيتم ما نشر بإحدى المجلات الشهرية من شعر شاعرين : ذكر وأنثى وصورة لها ؟

ولم يبد على الجالسين أنهم رأوا شيئاً من ذلك ، فنظروا إليه متسائلين ، وقال قائلهم :

— وكيف كان ذلك ؟

— عبرت الفتاة (ا) عن لواعج فؤادها في أبيات ، ورد عليها الدكتور (ا أيضاً) بأبيات ضمنها هواه ، ونشر كل ذلك تحت صورة اضطجع فيها الشاعر على سرير ، ووقفت الفتاة بجانبه

— وما معنى هذا الوضع ؟

— لا أدري ، ولعل المعنى في بطن الشاعر — على أن الجدير بالسؤال هو إيثار الفتاة هذا الشاعر وهو كما نعلم مثل من دعاه الغواني عمهن !

قال ثالث : ألا يدل هذا على أن الأمر بينهما هوى شعر ؟

قال آخر : ولم لا نقول إنها اختارته على طريقة فقراء الهند ؟

عباس خضر

---

(١) إشارة إلى مقالات الأستاذ التي كان يكتبها في الرسالة منذ سنوات بعنوان « عودة إلى الروض » .